

الاسم ودلالاته في روايات فرمان

(رواية خمسة أصوات أنموذجا)

د.اسراء حسين جابر

كلية الاداب / قسم اللغة العربية

مدخل:-

من الثوابت المهمة في بنية الرواية هي الشخصيات التي تمثل محور الحدث وانعكاس البيئة وهي دليل من دلائل التطور الزمني الذي يلزم الرواية الذي يعد سمة من سمات مرونتها. إما من حيث اللغة التي تعكس مضامين السياق من خلال ما للتعاليقات الشعرية من دلالات متغيرة فإننا نجد اسم الشخصية يلعب دورا مهما يحتاج إلى الاستقراء والتحليل. ولعلنا لا نعجب من الرؤية السطحية التي لازمت أراء عدد من النقاد والألسنين ومنهم (جاكسون) الذي يؤكد على إن الاسم يشير إلى من يحمل هذا الاسم ، بقوله إن الاسم ((لا يمكن إن يكون ذا دلالة إلا إذا كان حامل الاسم حاضرا سواء عمليا بالمقام أم بواسطة وصف (الوصف بمعناه المنطقي) متضمن في الرسالة نفسها))^(١)، أي انه يحاول إن يوضح إن الأسماء لا معنى لها ولا تشير إلى من يسمى لها ، وهو رأي اشترك فيه الكثيرين، منهم الفيلسوف (جون ستيورت) و (ستيفن اولمان) ، فالاسم عندهم لا يتجاوز الصيغة لانكماش وظيفته^(٢)، إن هذه الإحكام من الممكن إن نوافقها إذا كان اسم الشخصية مجردا بعيدا عن السياق، إذ إن الاسم يكتسب دلالاته من خلال

السياق أي إن الأسماء المتعلقة بالشخصيات والمتعلقة بالمنطوق اللساني للشخصيات - بما فيها الألقاب والكنائيات ولاسيما في الرواية - تنشأ بينها وبين السياق علاقات مجاورة مما تؤدي إلى نشوء دلالات ترتبط بالشخصيات ومن ثم بالنص.

ويبحر " اوسبسكي" في خصوصية المسميات وارتباطها بالسياق ضمن كتابه (شعرية التأليف) إذ يقول بهذا الصدد : ((في الأعمال الأدبية قد تطلق على شخصية ما أسماء مختلفة متعددة أو يشار إليها بألقاب كثيرة ، وكثيرا ما تعزى أسماء مختلفة لشخص واحد بذاته في جملة مفردة أو في مقاطع مترابطة جدا في النص))^(٣).

ويسند قوله بمثال أورده على ذلك من رواية (الإخوة كرامازوف) لدستوفيسكي، إذ يشير مختلف الشخصيات الى (ديمتري فيودورفيتش كرامازوف) على النحو الآتي :-

١- يسميه النائب العام (ديمتري كرامازوف) في المحكمة وهو أيضا يشير إلى نفسه في أحيان كثيرة بالاسم نفسه.

٢- يدعوه اليوشا وايفان (الأخ ديمتري) أو (الأخ ديمتري فيودورفيتش) سواء في الاتصال المباشر به أو حين يتحدثان عنه.

٣- يطلق عليه أبوه و غروتشنيكاد اليوشا وايفان اما اسم (ديمتري) أو (ميشي) .

٤- يتحجب اليه سكان المدن الذين يطلقون عليه اسم (مينيك) .

٥- يسمى احيانا فيودورفيتش وهو اسم حيادي وغير شخصي في السرد لان أيا من الشخصيات لا يستعمله^(٤).

هذه التسميات جميعا تعد وجهات نظر توضح مدى الصلة بين الشخصية التي تسمى والشخصية المسماة بهذا الاسم ، فهناك اسم ، وهناك اسم حيادي وهناك اسم محبب .. ويورد " اوسبنسكي " أمثلة أخرى تدور في المدار نفسه ليؤكد علاقة الاسم ودلالاته في السياق.

ومن خلال استقرائنا نصوص فرمان لا تكاد تخلو رواية من رواياته من التحولات الاسمية المقصودة التي تمنح الاسم الواحد أكثر من مسمى ومن ثم يتخذ أكثر من دلالة إلى جانب ما يرد من معنى قائم على التوافق أو التضاد المقصود.

فمن الخصائص الفنية التي اعتمدها فرمان في رواياته تركيزه على أسماء شخصياته سواء الرئيسية أم الثانوية فقد أولى قضية الاسم اهتماما خاصا إذ أسفر عن جملة من الوظائف والدلالات وهي سمة امتازت بها الرواية التقليدية عموما إذ ((ترتبط مسألة تشخيص الفرد ارتباطا وثيقا بأسماء العلم باعتبارها وسيلة للمعرفة))^(٥)، والتمايز بين الشخصيات.

فلم يكن الاسم في روايات فرمان مجرد إشارة لحامله إنما جاء الاسم في رواياته ذا وظيفة دلالية انصهرت وطبيعة الحدث وكشفت عن العلاقات بين الشخصيات وأعربت عن التحولات في مجرى الصراعات القائمة داخل السياق وذلك لاغناء النص ومضمونه.

وتتميز رواياته بهذه السمة الأسلوبية إذ اعتمد في اختيار أسماء شخصياته على طريقتين أولهما اعتماده التضاد أو التناقص من ناحية والتوافق من ناحية أخرى، وثانيهما اخضع فيها الاسم إلى متغيرات وتحولات، ولكي نكون أكثر دقة ارتأينا إن نخوض غمار البحث في رواية (خمس أصوات) فجاء البحث في قسمين:-

الأول:- دلالة الأسماء السلوكية والفكرية.

ثانيهما:- تحولات الأسماء وتداخل وجهات النظر.

١- دلالة الأسماء السلوكية والفكرية

في روايات فرمان لاسيما رواية (خمس أصوات) كان للأسماء وظائفها ومدلولاتها فقد كانت أداة مهمة لإبراز المفارقة بين حياة الشخصية الخارجي ومصيرها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى. فمن حيث اختيار الأسماء، اعتمد فرمان الدلالة المتناقضة لحياة الشخصية ومصيرها تارة والدلالة المتوافقة لحياة الشخصية ومصيرها وعلاقتها تارة أخرى. فمن حيث التناقض لا نجد (سعيد) سعيدا حقا في الرواية فهو، شخصية تعاني من الهموم فضلا من سلوكه المتردد يكتنفها الخجل لفقره فضلا عن همومه الثقافية التي جعلته يعيش في حيرة مستمرة وشقاء دائم فقد قال فرمان فيه ((إن كل شي يفر منه، ويخلق فراغا رجوعا إلى شيء ما ،القي(محققون ومهانون) من يده زاهداً في القراءة وتلبسته حالة تخل وهروب من إثم غامض طريق ربما هو إثم الخسارة نفسها))^(٦)، وربما ذهب إلى ابعد من ذلك محاولا إن يعرف حقيقته بقوله: ((لو اعرف من أنا؟ مهما تكن النتيجة قاسية لازال جزء كبير من شقائي ، فليس كل الناس قصاصين أو أصحاب مواهب، ومع ذلك يعيشون حياة مطمئنة، لو اعرف إلى أي صنف من الناس (أبواب) لوطنت نفسي على ذلك وعشت مرتاح البال ، ولكني لا اعرف من أنا لا اعرف))^(٧).

تظهر المفارقة بين تكوين الشخصية والتسمية المناقضة لهذا التكوين وهي دلالة تعكس وجهة نظر الراوي التقويمية إزاء الشخصية التي تعرب عن عدم توافق أو تطابق وعدم رضا الراوي عن الشخصية وهي سمة أسلوبية تكررت في أكثر من رواية من رواياته فشخصية (كريم) في رواية (المخاض) و (ماجد) في رواية (ظلال على النافذة) و (عصام) و (خليل) و (عبد المنعم) في رواية (المركب) وكثير غيرها في رواياته جاءت بدلالة مناقضة لطبيعة نشأة الشخصية وتطورها

داخل الأحداث، لعل هذه الشخصيات تدل دلالة قاطعة على إنها شخصيات مختزلة من حياة الراوي أو إنها تعبير عن خيبته الفكرية السياسية فهو يدرك ما يفتقر إليه الواقع الحياتي فجاءت أسماء الشخصيات متناقضة.

وعليه أجد إن في ذلك قصد لعل الهدف منه السخرية وإظهار التناقض بين مستوى الطموح والأحلام وبين الواقع الذي تعيشه الشخصيات، أو انه جاء ردة فعل فكري لخلق حالة من التوازن.

وجاءت شخصية (شريف) الشاعر الحالم البعيد عن الواقع كسابقاتها شخصية منفصلة عن العالم الخارجي ومتمردة عن القيم والأعراف إذ بدء في السياق الروائي منشغلا بذاته فهو مشرد يعاني من شعور بالنقص والحرمان العاطفي الذي دعاه إلى إن يسير وراء هذا الشعور من مسار منحرف يتمثل في ذهابه إلى مومس فاتخذها صديقة يشكو لها همومه، إلى جانب ذلك فقد اتسمت شخصيته بالغرور يقول : ((خلقت لأعربد كما فعل بودلير في زمانه، وفي دمي كل ديناميت الأرض وحممها في فؤادي لهاث المستنقعات في ليل صيف خانق تتصاعد ممتصة في خضرة العواطف من شرايين))^(٨).

فهو شخصية لا تهتم بغيرها ويسيطر عليها شعور الأنانية وهي سمات تناقض دلالة الاسم الذي اختير لها.

ومن المثير إن نجد شخصيات الكاتب - ذات الدلالة المناقضة لها الوزن نفسه وهو وزن (فعيل) وهو صفة مشبهة تمتاز بثبوت الصفة مما يزيد من باب المفارقة الدلالية في ثبوت دلالة التناقض وثبوت السلوك المضاد في مقابل ذلك يلفت تنبيهنا الأسماء النسوية التي جاءت مغيرة للأسماء الرجالية فكانت ذات دلالات متوافقة داخل السياق أي إن فرمان اختارها أسماء متطابق تكوينها الروائي وتطورها داخل الرواية كما هو الحال مع شخصية (حليلة) زوجة (حميد) التي بدت حياتها بصورة تثير الشفقة تعاني الفقر وظلم زوجها وإهماله لها وقد رسم فرمان صورة موفقة

عبر بها عن شقائها فقد كانت : ((نحيلة طويلة العنق عظيمة الصدر من الصعب إن تعرف عمرها بدقة ، كانت ترتدي ثوبا أحال الغسل لونه وتهدلت أذياله فهي ليست على مستوى واحد، وكان صدرها مكشوفاً وترقوتها بارزة ...))^(٩).

فاسم (حليلة) توافق دلالته حيا الشخصية ومصيرها إذ نجد الصبر هو ملازم لسلوكها مع زوجها وأطفالها وواقعها، والكاتب لا يخرج عن هذا السياق في شخصية (سليمة) في رواية (النخلة و الجيران) إذ تحفل بتطابق على مستوى السياق فهي تعني وفق ما يرد في معاجمنا (الملدوغة) ، وكذلك (مظلومة) هي رواية (القران)، إذ نجد فرمان ينحاز إلى شخصية المرأة ويتخذها رمزا للمرأة العراقية الممتلئة لذلك العهد بكل طباعها وجهلها واستلاب حريتها استغلالها أي إن أسماء شخصيات فرمان جاءت مقترنة بكل المعاني السائدة في المجتمع إذ قدم حالة إجمالية عن المرأة العراقية التي تعاني من الحرمان والظلم في تلك المرحلة في تاريخ العراق.

وأما شخصية (علياء) فجاءت أيضا موافقة لدلالاتها ضمن السياق ولكن على نحو ايجابي مختلف عن شخصية (حليلة) وكانت شخصية متفتحة ومنتزعة لها فكرها وتطلعاتها فهي شخصية ثانوية تظهر مرة واحدة في سياق الرواية بيد إنها تتبنى مبدأ الدفاع عن المرأة وحقوقها الضائعة من خلال الصحافة العراقية في ذلك الوقت فنقرا: ((قالت علياء بعد إن فرغت من تقليب الجريدة :

- على أي حال ، ليست جريدتكم لكل الناس.
 - لأي طبقة إذن ؟ سألها إبراهيم منتظرا إن تخرج.
 - لنصف المجتمع
- قالت بحتمية صارمة ، وفتح إبراهيم عينه وفمه، كانت تبدو رصينة وكأنها تؤدي امتحانا في الاجتماعيات.

- إذا كنت تقصدين عدد المتعلمين فهي والجرائد الأخرى الأقل من عشر المجتمع.

- لا اقصد امرأة، المرأة نصف المجتمع فأين ركن المرأة فيها؟...))^(١٠)، فهنا يظهر العلو في مكره ومواجهتها و محاجبتها لذا يتأكد التطابق الدلالي بين الاسم وبين فكرة الشخصية لعل ذلك جزء من طموح الكاتب.

فهو تارة يكشف عن السلبيات الملازمة للمرأة ويريد لها تارة أخرى إن تكون شخصيات مؤثرة في المجتمع.

٢-تحولات الأسماء وتداخل وجهات النظر

يحقق فرمان بفعل التحولات الاسمى للشخصية وظيفية أسلوبية، إذ جعل منها وسيلة للتعبير عن المواقف ، والكشف عن وجهات النظر المتعددة ، وضمن المعايير الاجتماعية والطبقية ، يحاول فرمان إن يربط أسماء الشخصيات وتحولاتها بمواقفها مع الشخصيات الأخرى وسلوكها داخل الأحداث ويكشف عن وجهات النظر التعبيرية والنفسية المتداخلة سواء أكانت للراوي أم الشخصيات، لذا نلاحظ إن شخصياته تحمل أكثر من مسمى ويذكرها بألقاب كثيرة، كما يحدث مع (سعيد وشريف ونجاة وصبرية و ابراهيم وحميد وعبد الخالق).

فشخصية سعيد يذكرها الكاتب على النحو الآتي:-

١- يناديه الراوي وأصدقائه ووالديه بـ (سعيد) ((قال سعيد لنفسه: هل سيتخلون عني إذا سقطت في هذا - المائي ؟ هل ستكتب الجريدة عني طار بصفته الشخصية؟ فيكون مصرعي بصفته الشخصية؟.....))^(١١).

٢- ينادي (الجابي) ويدعوه الموظفون الذين هم أدنى منه مرتبة بـ (أستاذ سعيد) تقخيما كقول احدهم ((أستاذ سعيد، أنا معجب.. خصوصا بالمقالة عن مستشفى الحميات))^(١٢)، و (أستاذ) لقب رسمي يطلقه بعضهم على الشخصيات التي هي أعلى مرتبة، وبهذه الصفة

تتاديه (نجاته) وجارها (ستار) في قوله ((عجبب أمرك يا أستاذ سعيد))^(١٣)، و يناديه في موضع آخر ((وأنت يا أستاذ سعيد إلا يؤلمك الوضع))^(١٤).

٣- ونجد صيغة (سيد) ((سيد المن تريد))^(١٥)، جاء من شخص لا يعرفه بتاتا لذا جاء بصيغة إنكارية.

٤- وينادي (بعزيمي) : ((عزيمي.. لعل رسالتي هذه مفاجأة لك))^(١٦)، وهي لغة رسائل تمثل وجهة نظر مرسلها وتحتمل التسمية أن تكون حاملة للسخرية من قارئها.

أما شخصية (شريف) قد وردت أيضا بأكثر من لقب وأكثر من تسمية:

١- ذكر الراوي اسم شريف لغاية تعريفية للشخصية حسب.

٢- يطلق اسم (الشاعر) من قبل الراوي وبصيغة ساخرة ((كان سالم كاتم إسرار الشاعر .. سمع الشاعر أصوات زغرودة على يساره))^(١٧)، ويطلق على نفسه (شاعرا) : ((لست ملا، أنا شاعر أعلمك الفلسفة وحكمة الدهور ولحين تنفتح الورود في الصباح وتعلق في الليل))^(١٨).

٣- ويتخذ شريف لنفسه اسم (بودلير العصر) في قوله : ((قال شريف مزهوا بنفسه إنا بودلير العصر))^(١٩)، وهي وجهة نظر تعبيرية تعكس حب الشخصية لذاتها وتعكس غرورها المفرط.

٤- يطلق على نفسه (شهريار) : ((إنا شهريار إلا تعرفينه))^(٢٠)، وهو لقب يطلقه على نفسه أمام (المومس صبرية).

٥- يطلق شريف على نفسه أيضا (الصياد) : ((أنا الصياد المختفي الأنفاس من الدهشة لأني سأظفر بصيد ثمين))^(٢١)، وهي مسميات أطلقها على ذاته البائسة وتعكس خيبة الأمل والفشل.

٦- يناديه سعيد بـ (شويعر) : ((افجر سعيد فجأة - اسكت يا شويعر))^(٢٢)، وهي صفة تصغير تعكس موقف الشخصية من (شريف) وهي وجهة نظر تعبيرية لتعبر عن بعض الجوانب النفسية.

أما شخصية (حليلة) فقد ورد ذكرها بأكثر من مسمى:

١- ورد اسم (نجاة) في بداية الإحداث وهو اسم مستعار تبنته الشخصية في رسالتها التي تحمل شكوى أرسلتها إلى (سعيد) الصحفي الذي كرس مهنته لحل مشاكل الناس، وقد استنجدت به لينقذها من الضياع والبؤس الذي تعيشه.

٢- وتتخذ (نجاة) لنفسها بـ (المرأة المسكينة) وهي صيغة استعطاف^(٢٣).

٣- يطلق الراوي عليها اسم (المرأة)^(٢٤) محاولا إن يجعل منها القاسم المشترك بين عدد من النساء وهو لفظ عام، وهذا يذكرنا بشخصية (المسلول)^(٢٥) في الرواية (النخلة والجيران) إذ برز من غير اسم ليشكل رمزا للوطن العليل.

وكذلك الحال مع مظلومة^(٢٦) الذي جعل الكاتب منها رمزا للبلد الذي تعرض للظلم من القوى المسيطرة عليه آنذاك إذ تعرض لمختلف الصراعات بين القوى التي كانت تحاول السيطرة عليه إذ بدت مظلومة رمزا للشعب وللبلد، مما لا يخفى إن الصراع الذي دار حولها عكس الجماعات السياسية التي كانت تتناحر في عراق بداية الستينيات ويعكس إلى جانب ذلك الطبقة آنذاك^(٢٧).

وتخاطب بعض الشخصيات (إبراهيم) بعدة أوجه منها (يا سيدي) و (يا أسد) و (يا أخي).
ويقترن اسم (عبد الخالق) باللقب في قول احدهم (يا أستاذ).

هذه التحولات تمثل وجهات نظر تجسد المستوى التعبيري النفسي وتعرب عن مواقف الشخصيات
داخل الأحداث، وتحمل رؤية تقويمية تصدر عن الراوي تارة وعن الشخصيات تارة أخرى

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الاسم ودلالاته ومتغيراته داخل السياق الروائي وما حققه من نتائج على
المستوى التعبيري ونذكر في هذا المجال ابرز النتائج التي تمخضت عنها وهي كالآتي:-

١- نجد عدم تطابق بين وجهة نظر الراوي ووجهة نظر الشخصيات الرجالية على
المستوى التعبيري والفكري والنفسي.

٢- كان التطابق واضحا في وجهة نظر الراوي على المستوى التقويمي لشخصية
المرأة فكان متعاطفا معها متبنيا مهمة كشف معاناتها والدفاع عنها.

٣- ظهر مساران لمسمى الشخصية منها ماهو مناقض ومنها ماهو مطابق.

٤- خضعت أسماء شخصيات فرمان إلى متغيرات عكست معايير اجتماعية
وطبقية ساعدت على كسر التمييز بين الأفراد.

(١) بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء -

المغرب، ١٩٨٦: ١٥٤-١٥٥.

(٢) ينظر : دور الكلمة في اللغة ، استيفن اولمان ، ترجمة وقدم له وعلق عليه : د. كمال محمد

، المطبعة العثمانية - القاهرة : ٧٦.

(٣) شعرية التأليف ، بنية النص الفني وأنماط الشكل التألفي ، بورس اوسبنكسي ، ترجمة :

سعيد الغانمي و ناصر حلاوي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٢م:٣٥.

(٤) م.ن : ٣٦.

(٥) الواقعية والرواية ، الأقلام ١٤ / ١٩٧٥م:٨.

(٦) خمسة أصوات، دار الآداب، د.ت : ٢٣٧.

(٧) م.ن : ٣٤.

(٨) خمسة أصوات: ٤٠.

(٩) م.ن : ٣٤.

(١٠) م.ن : ٧٦.

(١١) م.ن : ١٣٨.

(١٢) م.ن : ١٢.

(١٣) م.ن : ٣٣.

(١٤) م.ن : ٦١.

(١٥) م.ن : ١١٦.

(١٦) م.ن : ١٨٨.

(١٧) م.ن : ١٥٦ .

(١٨) م.ن : ١٣ .

(١٩) م.ن : ١٥٦ .

(٢٠) م.ن : ٤٠ .

(٢١) م.ن : ١٤٥ .

(٢٢) ينظر: خمسة أصوات: ٨ و ٣٢ .

(٢٣) ينظر : م.ن : ٣٢ .

(٢٤) خمسة أصوات: ٣٦ .

(٢٥) ينظر: النخلة الجيران، دار الفارابي - دار بابل، ١٩٨٨م: ١٩٨ .

(٢٦) القران ، مطبعة الأديب البغدادية ، ١٩٧٥م: ١١٤ .

(٢٧) الرواية في العراق وتأثير الرواية الأمريكية فيها ، د. نجم عبد الله، دار الشؤون الثقافية

العامة - بغداد ، ١٩٨٥م: ٧٠ .